الفصل الأول

إن أهم عنصر يرتكز عليه استقرار المجتمع هو عنصر الأمان، فإن اختل الأمـن اختل المجتمـع، واضطربت أمور الناس فيه. وأمـن المجتمع ونظامه وسلامته هو الطريق الوحيد الذي يكفل لجميع الأفراد أوفر قدر من السعادة والطمأنينـة في الحيـاة، وهـو في الوقت ذاته يحفـظ للفرد كرامتـه وحريته وإنسانيته. والأمن من أهم النعم التي أنعم الله بها على الإنسان، وهي شعور الإنسـان بالأمان على نفسـه وأسرتـه، ومصالحه وأمواله، والاطمئنان بعدم وجود خطر عليها، وهذه النعمة تحتضن النعم الأخرى، وتحتويها، فمن دون نعمة الأمن لا يكون لنعمة المال والصحة والوقت سكن ولا قرار، فإذا انعدم الأمن فلا يتنعم الإنسان بماله ولا بصحته ولا بوقته.

إن الشـعور بفقـدان الأمن خاصيـة وجودية مميزة للإنسـان منذ وجوده وحتـى يومنا هذا، ومن ثم حاول دائمًا أن يضع لنفسـه شـيئًا يمنحه الشـعور بالأمن، ويزيل عنه عبء الشعور الذي لا يطاق بالخوف. ويختلف الشعور بفقدان الأمن بمعناه الفسـيح عن فقدان الأمن بدرجاته النفسـية ومستوياته عـلى النحو الذي يستشـعره الإنسـان في حياته النفسـية مصحوبًـا بعوارض نفسـية، يتمثل بعضها في فقدان الثقة، والشـك، والخوف، واستحالة الثقة في الآخرين، واللامبالاة، والعدوان، والكراهية، والتشـبث بحب القوة لا قوة الحب (إبراهيم عيد، 1997، 232).

ولأهميـة نعمـة الأمن وعظم شـأنها جعلهـا إبراهيـم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ من أولى

دعواته كما جاء في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴾ [إبراهيم: 35]، فقدم في الذكر مطلب الأمن على مطلب التوحيد؛ لأن التوحيد لا ينتشر عند الناس إلا بالأمن. قدم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ في دعائه نعمة الأمن على غيرها؛ لأنها أعظم أنواع النعم، و إذا فقدها الإنسان اضطرب فكره، وصعب عليه أن يتفرغ لأمور الدين أو الدنيا بنفس هادئة وقلب خال من المنغصات.

لقد افترض «فروم» أن الصراع بين النضال من أجل الحرية والنضال من أجل الأمن هو أشد قوة دافعة في حياة الناس، وأن أقوى الدوافع التي توجه سلوك الإنسان تنبثق من ظروف وجوده أو من موقفه الإنساني من الوجود.

ومن الملاحظ في الآونة الأخيرة انتشار سلوكات البلطجة Bullying في المجتمع وبين طلبة المدارس بعد أن كانت مقتصرة على فئة معينة، حتى أن الأسلحة والأدوات المستخدمة من قبل البلطجية تسللت إلى داخل المدرسة.

هذه السلوكات لها نتائج سلبية على الجوانب النفسية والتربوية والاجتماعية بشكل عام. فالشعوب الآمنة تملك الظروف المناسبة للإنتاج المادي والمعرفي، ورائدة لغيرها من الأمم التي تفتقر إلى هذه النعمة. وعندما استخف البعض بالقوانين وجدنا من يسيرون في الطرقات سكارى، غير عابئين بمن حولهم، ضاربين بكل المُثل والمبادئ عرض الحائط. وفي تحدٍ للنظام وجدنا بعض الصبية تقوم بتشكيل عصابات تخرج متآمرة تقهر الأفراد، وتسلبهم أموالهم وأرواحهم، وتروع الآمنين في المساكن والطرقات.

والبلطجة مشكلة عالمية، إذ توجد في كثير من المدارس على مستوى العالم، حيث تشير التقديرات إلى أن (3.6) مليون شاب في الولايات المتحدة

شـاركوا بالفعل في سلوكات بلطجة، بينما (3.2) مليون شخص كانوا ضحايا (Nansel et al., 2001) وفي جميع أنحاء العالم تنتشر سلوكات البلطجة بنحو (30 %) مـن مجموع الطـلاب (Gini & Pozzoli, 2009) وفي عام 1982م تم الإبلاغ عن انتحار ثلاثة أطفال من مدارس مختلفة في النرويج نتيجة تعرضهم للبلطجة المستمرة من قبل آخرين (Smith & Sharp, 1994: 9).

والبلطجـة في المـدارس أهـم ملامح الأزمة التي تسـود النظـام المدرسي المعاصر؛ لأنها تهدد أمن الطلاب، واستمرار العملية التعليمية، حيث تتوافر النية ممن يتصفون بالبلطجة نحو ضحاياهم مسـتخدمين في إيذائهم وسـائل عديـدة، مثـل الاعتداء الجسـدي، واللفظـي، والعزل، و... وبنـاء على ذلك تكون البلطجة بصورها هي مجموعة فرعية من السلوك العدواني.

ومـن المقرر نفسـيًا واجتماعيًـا وبالاسـتقراء والتتبع فـإن الجرائم التي تخفـى إذا ظهرت وجب تشـديد العقاب لها، فـإن الجزاء معنـاه أن العقوبة مكافئة للجريمة، مسـاوية لهـا متلاقية مع آثارهـا، و إن لم تكن متلاقية في ذاتها ومسـاوية في الكم مع كل سبب من أسباب العقوبة. لذلك لا ينظر إلى مقدار الفعل المرتكب، ولا إلى مقدار الأذى الشخصي الواقع على آحاد الناس فحسب، و إنما ينظر أيضًا في تقديرها إلى الآثار المترتبة عليها، سواء القريبة منها أو البعيدة.

مفاهيم البلطجة

تعتبر البلطجة واحدة من المشكلات التي قد يمر بها الفرد في فترات نموه. فالأولاد يقومون بالاعتداء على زملائهم في فناء المدرسة، فإذا كان رد فعل التلميذ الضحية هو الخوف وعدم إبلاغ المسئولين بالمدرسة، أو إبلاغ أسرته بما يحدث له من قِبل زملاء الدراسة فإن هذه السلبية تؤدي بدورها إلى تدعيم هذا السلوك عند التلميذ البلطجي، ويمارسه أكثر وأكثر، وهكذا إلى أن وصل الأمر إلى وجود حوادث إطلاق نار في مدرسة كولومبيا Columbine العليا في مدينة ليتلتون كولورادو Littleton Colorado (Mestel & Groves, 2001).

ولقد ظهر مفهوم البلطجة مع بداية البحوث التي ظهرت في أوروبا حيث تم الإشارة إليها تحت إسم المهاجمة Mobbing وهي السلوك العنيف المتصاعد بسرعة، الموجه نحو طالب واحد من قبل مجموعة من الطلاب، وقد تطور المفهوم ليشمل نوبات متكررة من العدوان من قبل مجموعات صغيرة من البلطجية على طالب واحد (Olweus, 1993) وعلى الرغم من أن التركيز الأصلي للبحوث التي تمت عن البلطجة كان عن العدوان اللفظي والجسدي إلا أن عام 1990 شهد توسعًا في تعريف البلطجة ليشمل العدوان غير المباشر، على اعتبار أن العدوان المباشر يحدث وجهًا لوجه، بينما العدوان غير المباشر يحدث عادة عن طريق طرف ثالث (James & Susan, 2008).

وفي الآونة الأخيرة نال مصطلح البلطجة كمية كبيرة من الاهتمام من قبل الباحثين وصانعي السياسات والجمهور العام في أمريكا الشمالية، وهناك كان مزيدًا من التركيز على مفهوم البلطجة ليشمل رفض الأقران.

وعمومًا فقد أشارت معظم البحوث والدراسات إلى صعوبة وضع تعريف جامع مانع لمصطلح البلطجة، وإن اتفقت على اختلاف أشكالها وصورها مثل: البلطجة اللفظية، والبلطجة الجسدية، والبلطجة النفسية، والتي تتمثل في المضايقات والتلاعب بالعلاقات الاجتماعية.

وكلمتي (بلطجة وبلطجي): لا تعرفهما قواميس اللغة العربية، وذلك لأنهما من اشتقاقات اللغة العامية. كما أن كلمة بلطجي ينصرف معناها إلى الشخص الذي يستخدم (البلطة) في الاعتداء على الآخرين. وقد جاء في دائرة معارف القرن العشرين كلمة «بالطه» أي ضاربه بالسيف (محمد فريد وجدي، 1971: ج2، 338).

يؤيد هذا ويؤكده أن اللغة العامية غنية بالألفاظ التي تنتهي بحرفي (الجيم والياء). فهذان الحرفان حينما تنتهي بهما كلمة ما فإنها تعبر -عادة- إما عن صاحب مهنة معينة وإما عن ممارسة شخص ما لسلوك معين بإسراف. والمعنى الأول نجده في كلمات: مكوجي وسفرجي وبوسطجي واستورجي وقهوجي وعربجي. أما المعنى الثاني فنجده في كلمة: خمورجي.

وعليه فإن كلمة بلطجة تعنى السلوك الذي يصدر عن شخص، أي أنه اتخذ من استخدام البلطة، ويطلق عليه لفظ (بلطجي) من قبيل إطلاق اسم الجزء الأهم على الكل؛ لأن البلطة تمثل سلاحًا خطيراً يستغرق ما عداه من أسلحة -في الغالب الأعم-. أضف إلى ذلك أن شيوع استخدام البلطة بمعرفة الأشخاص الذين يعتدون على الآخرين ويفرضون إتاواتهم عليهم، يؤكد صحة إطلاق لفظ بلطجي على أي من هؤلاء، لأن العبرة في صحة الألفاظ بالأمر الشائع لا الأمر النادر.

إن كلمة بلطجة تركية الأصل، وهي كلمة تتكون من مقطعين: (بلطة)، و(جي)، وهي تعني حامل البلطة، وهو الرجل الذي يؤدي الخدمات الخارجية للقصر السلطاني، وكانت الدولة العثمانية تستخدم البلطجية لفتح الدروب بين أشجار الغابات باستعمال البلط كي تسلكها الجيوش. وفي العامية المصرية يوجد مصطلح آخر وهو «قبضاي» وهو مرادف للبلطجي، وينتشر أيضًا في لبنان وسوريا.

وتعرف البلطجة في بلدان أخرى بأسماء مختلفة، فعلى سبيل المثال يطلق على البلطجية في سوريا إسم «الشبيحة»، كما تعرف في اليمن باسم البلاطجة، وفي الجزائر يطلق عليهم إسم «فوايو» Voyous، وفي المغرب يعرفون باسم «شومارة» وهي كلمة مشتقة من الكلمة الفرنسية Chaumage وتعني المتعطل عن العمل وخريج الإصلاحيات والسجون.

وقد قيل في البلطجي «متنمر» تشبيهًا بأخلاق النمر وشراسته. ويقال للرجل سيء الخلق: قد تنمر. ونمَّر وجهه أي غيره وعبَّسه. ويقول الأصمعي: تنمر له أي تنكر وتغير؛ لأن النمر لا تلقاه إلا متنكرًا غضبان، وهو من أنكر السباع وأخبثها. وكانت ملوك العرب إذا جلست لقتل إنسان لبست جلود النمر ثم أمرت بقتل من تريد قتله (ابن منظور، مادة: نمر).

وجاء تعريف البلطجة في قاموس «كمبريدج» Cambridge على أنها «إيذاء أو تخويف شخص ما أصغر أو أضعف من الشخص البلطجي، أو إجباره على أن يفعل شيء لا يريد فعله». ولم يختلف التعريف كثيراً في قاموس «لونجمان» Longman حيث عرف البلطجة على أنها «تهديد شخص ما أو تخويفه، خاصة الأشخاص الأصغر حجمًا أو أضعف. أو هي الضغط

على شخص ما لجعله يفعل ما يريد». بينما في قاموس أكسفورد Oxford دُمج مع مصطلح البلطجة مصطلح آخر هو ممارسة التخويف Intimidation وعمومًا هي «ترهيب شخص أضعف ليفعل ما تريد».

ولقد وضعت الجمعية الأمريكية لعلم النفس تعريفًا للبلطجة في قاموس علم النفس الإكلينيكي على النحو التالي: «هي استمرار التهديد والاعتداء الجسدي العنيف، أو الإساءة اللفظية المباشرة تجاه الآخرين، وخاصة إذا كان الضحية أصغر سنًا، أو أصغر حجمًا، أو أضعف من البلطجي» (APA, 2013).

ويعرف أوليوس Olweus (1993, 4) البلطجة بأنها: «التعرض مرارًا وتكرارًا وعلى مر الزمن لأعمال سلبية من جانب واحد أو أكثر من الأشخاص الآخرين، وأن الضحية يواجه صعوبة في الدفاع عن نفسه». ويتضمن تعريف سلوك البلطجة عند «أوليوس» ثلاثة عناصر أساسية هي:

1. أن يكون سلوك سلبي وعدواني.
2. أن يحدث السلوك مرارًا وتكرارًا.
3. عدم وجود تكافؤ في القوى بين البلطجي والضحية.

كما يعرفها ريجبي Rigby (2011) بأنها انتهاك للقوانين، واعتداء على الآخرين جسديًا وبشكل علني كالضرب والركل، أو المناداة بصفة تثير الغيظ. في حين يعرفها بليجريني Pellegrini (2002) بأنها أي شكل من أشكال الترهيب، أو التحرش، أو الإبعاد والعزل. ويرى روساريو وآخرون (Rosario, M.; Salzinger, S.; Feldman, R. & Ng Mak, D., 2003) أن البلطجة هي سلسلة متصلة من السلوك الذي ينطوي على محاولة للوصول إلى

التسلط والهيمنة على الآخرين. وترى يانسن وزملائها (Janssen, I.; Craig, W.; Boyce, W. & Pickett, W. 2004) أنها أي عمل أو إجراء ضمني، مثل التهديد الذي يهدف إلى الخوف، بحيث يتكرر هذا السلوك في أكثر من مناسبة. ويعرفها كلا من Devoe, J. F.; Peter, K.; Kaufman, P.; Miller, A. K.; Noonan, M.; Snyder, T. D. & Baum, K (2004) بأنها أعمال سلبية مباشرة وغير مباشرة من البلطجي للضحية، حيث تتمثل الأعمال المباشرة في الهجوم الجسدي بشكل علني، والصورة غير المباشرة منها تأخذ شكل العزلة الاجتماعية والتهميش المتعمد للآخرين، وكل أشكال التسلط.

كما يعرفها سموكوزكي وكوباز (Smokowski & Kopasz 2005) على أنها هجوم مادي أو نفسي أو لفظي على أفراد يعجزون عن المقاومة، مع توافر نية التسبب في حدوث ألم لتحقيق مكاسب خاصة بهم وإشباع رغباتهم. ويرى نجوك Ngoc (2007) أن البلطجة هي قمع نفسي أو جسدي لشخص أقل قوة من قِبل شخص أكثر قوة أو مجموعة من الأشخاص. ويوضح جيمس وسوزان James & Susan (2008) أن البلطجة هي أي إيماء مقصود ومتعمد، سواء كان لفظيًا أو ماديًا أو مكتوبًا، ويشمل التهديد والتخويف والإساءة للآخرين.

وترى ماري وزملائها(Marie, H. et al, 2009)) البلطجة أي رغبة واعية ومتعمدة لإيذاء أو تهديد أو تخويف أي شخص آخر. كما يعرفها ميشيل وآخرون (Michael, H. et al, 2009) بأنها أي إجراءات سلبية متكررة من جانب واحد أو أكثر ضد شخص أو مجموعة من الأشخاص أو ضد دولة أو...، مع وجود خلل في توازن القوى الجسدية والنفسية بين البلطجي والضحية. ويرى أحمد محمد أبو زيد (2012، 26) أن البلطجة هي استخدام

العنـف والإكراه بصـورة غير مشروعة من جانب أطراف غير رسـمية، من أجل فرض إرادتهم على الآخرين.

والمؤلـف لـه تحفظ على التعريـف الأخير إذ أنه لا يوجـد إكراه بصورة مشروعة ولا غير مشروعة، علاوة على أن سلوك البلطجة يصدر من أطراف غير رسمية، فكيف إذا صدر من أطراف رسمية؟.

وقـد لاحظ المؤلف من خلال عرض معظـم تعريفات البلطجة أن بعض الباحثين يعتقدون أن السـلوك الذي يحدث مرة واحدة أو مرتين مهما كانت خطورتـه لا يعتبر بلطجة، وحجتهم في ذلك أن الـضرر الواقع على الضحية يكـون بصفـة مؤقتـة وغير مؤثـر، في حين يعتقـد المؤلف أن هذا السـلوك لا ينبغـي أن يحـدث مرارًا وتكـرارًا وعلى مر الزمن على نفـس الضحية لكي يصنف على أنه بلطجة، فقد يتكرر سـلوك البلطجة من الشخص ولكن على أفـراد آخرين. كما يتفق المؤلف مع معظم الباحثين على أن البلطجة تنطوي على خلل في توازن القوى البدنية والنفسـية، سواء الحقيقية أو المتصورة بين البلطجي والضحية.

كـما لاحظ المؤلف عـدم الدقة في ترجمـة المصطلـح Bullying والخلط بينه وبين مصطلحات أخـرى، حيث لم يفرق يسري دعبس (1998، 3) بين مصطلح البلطجة ومصطلح الإرهـاب الاجتماعي Social Terrorism، ولقد وضع فرج طه (2009، 243-242) المصطلح (Paltaga) الإنجليزي من عنده ليحتفـظ بـروح المفهوم، فيقـول: «ولقد وضعت المصطلـح الإنجليزي من عندي ليحتفظ بروح المفهوم لأني لم أعثر على لفظ انجليزي يحقق لنا ذلك، وهـذا يقابل التعريب الذي نلجأ إليه في العربيـة عندما تصعب علينا ترجمة

كلمـة إلى العربية». والمؤلف يـرى عكس ذلك تمامًا إذ أن كلمة البلطجة في العربيـة يقابلها في الإنجليزية أكثر من ترجمـة، الأولى: Bullying والثانية: Looting والثالثـة: Thuggery وكلهـا تعني: بلطجة، ومـن المصطلح الأول يشـتق منه bully بمعـنى بلطجي، والمصطلح الثاني يشـتق منـه looter بمعنى بلطجي أيضًا، وكذلك المصطلح الثالث يشتق منه Thug.

ومـن التعريفات السـابقة يرى المؤلف أنـه إذا كان العـدوان هو بداية العنف، وأن العنف يتميز عنه بالاندفاع والتهور، فإن البلطجة تأتي كمرادف للعنـف، وتعرف على أنها: «أفعال ضارة مقصـودة وغير مبررة إلى حد كبير، من فرد أو أكثر، لإلحاق الأذى المادي والنفسي لفرد أو أكثر. يمكن أن تكون كلمات أو أي سـلوكات أخرى مثـل: التحرش الجنـسي، والتنابز بالألقاب، والتهديد والتخويف، والعزل، والضرب واستخدام الآلات الحادة، ولا يوجد نوع من التوازن في القوة بين البلطجي والضحية Bully and Victim.»

بعض المفاهيم المتداخلة مع البلطجة

توجـد بعض المفاهيم التي تتداخل ظاهريًا مـع مفهوم البلطجة، ولكنها تختلف في جوهرها، ومن هذه المفاهيم ما يلي:

البلطجة والعنف

يعتبر العنف أعم وأشمل من البلطجة، على أن البلطجة وسيلة من وسائل العنف التي يستخدمها الفرد.

البلطجة والعدوان

العنف هـو الجانب المادي المبـاشر المتعمد من العـدوان، وبذلك يصبح العـدوان مفهومًا أكـثر عمومية مـن العنف، والبلطجة وسـيلة من وسـائل العنـف، ويمكن تمثيل هذه العلاقة بثلاث دوائر مختلفة الأقطار، بحيث تمثل الدائـرة الخارجية العدوان، ثـم الدائرة الأصغر منها وهـي دائرة العنف، ثم تأتي الدائرة الأصغر والأخيرة وهي دائرة البلطجة.

البلطجة والصراع

الصراع عملية اجتماعية .. وموقف يحاول فيه اثنان أو أكثر من الكائنات البشرية، أو الجماعات الاجتماعية أن يحقق كل أغراضه وأهدافه ومصالحه، ويمنع الآخر من تحقيق ذلك، ولو اقتضي الأمر القضاء عليه وتحطيمه، ويبدو الـصراع بين الأفـراد والجماعات عند ارتكاب الجرائـم، وهو صراع ينتصر

فيه الشعور بالعداوة، وقد يتسم بالعنف الشديد (سيد عويس،2002، 1184). وعلى ذلك فالبلطجة غير الصراع، فقد يوجد الصراع بين فردين وينتصر أحدهما على الآخر ويحقق أهدافه ومصالحه دون أن يلجأ للعنف أو البلطجة.

البلطجة والغضب

الغضب انفعال سيء، غير مريح، يصاحب الرغبة في الاعتداء والتدمير وإنزال الضرر بالآخرين أو بالذات أحيانًا. كما أن للغضب مظاهر خارجية تظهر على ملامح الوجه وتغير لونه، واهتزاز بعض أطراف الجسم وضعف السيطرة عليها، ويصاحبه أيضًا تغيرات فسيولوجية تستهدف تهيئة الجسم بالقوة والطاقة اللازمة للاعتداء وإشباع دافع الغضب (فرج طه وآخرون، 2009، 912). وبناءً على ذلك فالغضب نواة العنف، والعنف مرادف للبلطجة، فإن الغضب أشمل وأعم من البلطجة والعنف معًا.